

إِسْحَاقُ الْقَلْبِ

وَبَيَانُ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِيهَا



لَفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدُّكُورِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَبْقَرِيِّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِإِسَائِيهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ



أَسْمَاءُ الْقُلُوبِ

وَبَيَانُ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِيهَا

🌐 📺 📌 alanqri 🐦 drangari

للإعلام بالأخطاء الطباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalangri@gmail.com

مِنَ السَّيِّدَةِ الْمُحَاضِرَاتِ وَاللَّقَاءَاتِ الْعَلَمِيَّةِ الْفَضِيلَةِ الشَّيْخِ

٧

إِسْمَاءُ الْقُلُوبِ

وَبَيَانُ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِيهَا



لَفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَنْبَقَرِيِّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِسَائِمِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

النُّسخَةُ الْأُولَى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ستكلم - بإذن الله - **عَزَّوَجَلَّ** في هذه المحاضرة التي هي مقدمة للسلسلة التي ستكون في هذا الجامع - إن شاء الله تعالى - متعلقة بأعمال القلوب، لا يمكن أن نتكلم عن أعمال القلوب حتى نتحدث عن الإيمان نفسه، إذا علمنا أن الإيمان قول وعمل، فمعنى ذلك: أننا سنحتاج أن نبين هذا العمل، إذا قلنا: قول وعمل، سنعرف - إن شاء الله تعالى - أن العمل يشمل عمل الجوارح، وعمل القلوب، لهذا سنضع مقدمة - إن شاء الله تعالى - في الإيمان عند أهل السنة، وشرح قولهم: أن الإيمان قول وعمل، فالإيمان عند أهل السنة بإجماعهم منذ زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، والتابعين، وأتباع التابعين: أن الإيمان قول وعمل، هذه العبارة: أن الإيمان قول وعمل تحتاج إلى توضيح، القول قول ماذا؟ والعمل عمل ماذا؟ إذا علمنا أن الإيمان هو القول والعمل؛ فالقول يشمل شيئين اثنين:

○ **الأول:** قول اللسان؛ وهو نطق اللسان، وهذا واضح.

○ **الثاني:** قول القلب، وهل القلب يقول؟ نعم، لكن لما كان اسم القول ينصرف مباشرة إلى نطق اللسان؛ صار المعتاد أن المراد بالقول: قول اللسان، ولكن الحقيقة أن القلب يقول، وإن لم يكن بأحرف تُسمع.

ولهذا أهل السنة يقولون: الإيمان قول، والمراد بكونه قولاً: قول اللسان؛ وهو نطقه، وقول القلب؛ وهو اعتقاده وتصديقه.

○ وعمل، ما المراد بالعمل؟!

○ **المراد بالعمل:** عمل الجوارح المعروف اليقين؛ كالسجود، والركوع، ونحو ذلك، وعمل الجوارح واضح.

ومن الأعمال التي تدخل في كلمة العمل: عمل القلب، وهل القلب يعمل؟ يعمل، وأيما عمل، وأعظم العمل عمل القلب، كما سيأتي -إن شاء الله- **عَزَّوَجَلَّ**.

○ **إذا؛ معنى قول أهل السنة:** الإيمان قول: قول باللسان؛ وهو نطقه بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وقول القلب: وهو اعتقاده وتصديقه، والعمل: عمل الجوارح المعروف، وعمل القلب، والذي سيأتي -إن شاء الله- **عَزَّوَجَلَّ** بيانه هنا.

هذه المسألة: أن الإيمان قول وعمل، مسألة إجماع عند أهل السنة، حكى الإجماع عليها أئمة كبار، فقال الشافعي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «ثم كان الإجماع من الصحابة والتابعين، ومن لقينا: أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد منها عن الآخر»، هذه العبارة: قول وعمل ونية، هي التفصيل، أي: حين نقول: الإيمان قول وعمل، هذا إجمال، يحتاج إلى ماذا؟ يحتاج إلى تفصيل، فتقول: القول: قول القلب، ونطق اللسان، والعمل: عمل الجوارح، وعمل القلب، هذا عند الإجمال.

○ **عند التفصيل:** مثل ما قال الشافعي: ثم كان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن لقينا -أي: بعدهم-: أن الإيمان قول وعمل ونية، وهنا كلمة: القول يراد بها قول اللسان، والعمل: عمل القلب والجوارح، والنية: أراد بها: اعتقاد القلب.

○ **إذا؛ فأهل السنة تارة يقولون:** الإيمان قول وعمل، فتكون العبارة مجملة تحتاج إلى التفصيل الذي ذكرناه، وتارة يقولون: قول وعمل واعتقاد، أو كما قال الشافعي: قول وعمل ونية، الشافعي **رَحِمَهُ اللَّهُ** يقول: لا يجزئ واحد منها عن الآخر؛ أي: من أتى بالقول والاعتقاد ولم يأت بالعمل؛ لا ينفعه ذلك، المنافق يأتي -والعياذ بالله- بالصفقة الخاسرة في الآخرة، يأتي بالعمل الظاهر فقط؛ الذي هو أعمال الجوارح، لكنه -والعياذ بالله- لا يأتي بالاعتقاد، ولا بعمل القلب؛ فلهذا لا ينفعه، لأنه كما قال الشافعي: لا يجزئ واحد منها عن الآخر.

○ **وبذلك علمنا:** أنه لا بد من هذه الثلاث مجتمعة: قول اللسان، واعتقاد القلب، وعمل الجوارح، وعمل القلب، لا يجزئ واحد منها عن الآخر، وهكذا قال الآجري **رَحْمَةُ اللَّهِ** في كتاب الشريعة: «إن الإيمان عند أهل السنة قول واعتقاد وعمل، وأنه لا ينفع واحد من الثلاثة دون الآخر، لا بد منها جميعاً»، وهكذا قال ابن بطة الحنبلي **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وحكوه عن أهل السنة، وحكى الإمام أحمد **رَحْمَةُ اللَّهِ** إجماع أهل السنة على أن الإيمان قول وعمل، وحكاه البخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وحكاه الأوزاعي عن من قبله من السلف، لهذا يقول شيخ الإسلام: «هذه المسألة من شعائر أهل السنة»، الشعائر: هي المسائل الكبار التي يتميز بها السنِّي من المبتدع، والمخالف في هذا سيأتي الكلام -إن شاء الله تعالى- عليهم فيما يجِدُّ من الكلام عن المسألة التي بها المخالفة -إن شاء الله- **عَزَّجَلَّ**.

○ **الأمر الثالث:** لا بد -الحقيقة- من التنبه إلى الخطورة البالغة في أمر المخالفة في باب الإيمان، وانعكاسها على باب الكفر، أول خلاف وقع في الأمة: هو في الفاسق المليّ، وما المراد بالفاسق المليّ؟ الفاسق الذي من أهل هذه الملة؛ أي: الذي هو من المسلمين، لكنه ارتكب كبيرة من الكبائر، فالخوارج كفَّرتَه وزعمت أنه خرج بذلك من الإسلام، والمعتزلة ابتدعت قولاً عجيباً غريباً؛ فقالوا: إنه ليس بمؤمن، وليس بكافر، وإنما هو في ما سمَّوه: بمنزلة بين المنزلتين، وفي الآخرة قالت المعتزلة -كما قالت الخوارج-: إنه مخلد في النار.

○ **أهل السنة قالوا:** أن الكبائر لا شك أنها تضر الإيمان وتنقصه دون ريب؛ لأن الإيمان يزيد وينقص، لكن من وقع في كبيرة من الكبائر من المسلمين، وهو يعلم أنها محرمة، لكن غلبته شهوته -والعياذ بالله-؛ فإنه لا شك من أهل الإسلام، وحتى لو مات على كبريته؛ فهو من أهل الإسلام، وإذا أُدخل النار؛ فإنه لا يخلد فيها خلود الكفار؛ لأن الخلود الأبدي لا يكون إلا للكفار، أما ما ذكر الله في كتابه من خلود أصحاب الكبائر: كأهل الربا، أو الزناة -كما ذكر الله في سورة الفرقان-؛ فلا شك أنه خلود منقطع؛ لأن ما معنى الخلود؟ هو طول المكث، يقول: أقاموا فأخلدوا، أي: أطالوا الخلود، فقد يمكث -والعياذ بالله- صاحب الكبائر إذا لقي الله -تعالى- بكبيرته في النار مُدَّةً متطاولة؛ لكن لا شك أنه بإجماع أهل السنة يخرج منها، إذ لا يخلد في النار الخلود المؤبد إلا أهل الكفر، ولهذا يمكثون في النار ما شاء الله **عَزَّجَلَّ** أن يمكثوا، ثم يخرجون منها؛ لأن النار أعدت للكافرين، وأهل الكبائر هؤلاء من المؤمنين، فلما عصوا الله -تعالى- بالكبائر هذه، ولقوا الله بها، فمنهم من يشاء الله له المغفرة؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ

لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿[النساء: ٤٨]﴾ ، فقد يغفر الله لصاحب زنا، ومن يمنع الله من أن يغفر للزاني، هذا أمر راجع إليه **عَزَّوَجَلَّ**، لهذا نقول: إنه تحت المشيئة، فإن شاء الله عذبه بسبب كبيرته هذه، ثم بعد ذلك غفر الله له وأدخله الجنة، وعاد إليها، وإن شاء كفاه هم دخول النار بالكلية، فغفر له وأدخله الجنة، هذه أمور ترجع إلى رب العالمين ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

إذًا؛ هذا ما يتعلق بأمر الخلاف في باب الإيمان، الخلاف في باب الإيمان انبثق منه الخلاف -أيضا- مع المرجئة، فعندنا خلاف الخوارج، وخلاف المعتزلة، وهاتان الفرقتان تسميان: بالوعيدية، الوعيدية: نسبة إلى أنهم ركزوا فقط على نصوص الوعيد، والمقصود من نصوص الوعيد: ما جاء فيه تهديد ووعيد لأصحاب الذنوب، من كون الله **عَزَّوَجَلَّ** سيعاقبهم، وأن الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** يغضب من هذه الذنوب، فركزوا فقط على هذه، ونسوا رحمة الله وغفرانه، عكسهم المرجئة؛ المرجئة ركزوا على غفران الله -تعالى- وعفوه ورحمته، وتناسوا أمر عقوبته.

○ **أهل السنة - كما هو معلوم - من مذهبهم:** يجمعون جميع النصوص، فنصوص الوعيد حق، ونصوص الوعد حق، فلا بد من جمع النصوص جميعا، والتفريق بين النصوص لا شك أنه ليس من منهج أهل الحق في قليل ولا كثير، لا بد من الجمع بين النصوص في سائر أبواب الاعتقاد، وفي سائر الأمور الفقهية، إذ بجمع هذه النصوص يتضح الحق، فنصوص الوعد حق، ونصوص الوعيد -أيضا- حق، فمن ترك نصوص الوعيد؛ ترك حقا، ومن ترك نصوص الوعد؛ ترك حقا، فليس لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يترك شيئا من هذه النصوص؛ إلا فيما يتعلق بنص منسوخ جاء نص ناسخ فعمل بالنص المنسوخ في مدته، ثم لما جاء النص الناسخ؛ عمل بالنص الناسخ، ولم يترك النص السابق إلا لوجود نص نسخه، فهذا منهج أهل السنة ومسلكتهم في الجمع بين النصوص، وعدم التفريق بينها.

ولذلك -والله الحمد- فهم في جميع أبواب الدين عقيدتهم منضبطة هذا الانضباط، المخالفون لأهل السنة سواء في هذه المسألة؛ مسألة أعمال القلوب، أو مسألة حقيقة الإيمان، أو غيرها، تجد أنهم يركزون على نصوص، ويتركون نصوصا، ولهذا من عظمة القرآن: أن الله **عَزَّوَجَلَّ** ذكر آيات قبل أن توجد الفرق هذه، فيها رد على هذه الفرق، كقوله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨] ، الآية يردُّ أولها على المرجئة الذين يهونون من أمر الذنوب، وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿[المائدة: ٩٨] ، ترد على الوعيدية الذين يركزون على الوعيد وحده، وهكذا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ، هذا رد على الممثلة الذين يقولون: إن صفات الله مثل صفات المخلوقين، وفي نفس الآية قال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ، ففيها إثبات الصفات التي أثبتها الله لنفسه، إلى غير ذلك من النصوص التي هي من عظمة القرآن، من عظمة القرآن أن توجد هذه النصوص التي ترد على فرقتين معاً قبل أن توجد، ولهذا نصوص الشفاعة ترد على من؟ على الخوارج فقط؟ والمرجئة أيضاً، لاحظ هذه المسألة في نصوص الشفاعة، فإنها ترد على الوعيدية؛ كالخوارج والمعتزلة الذين يقولون: إن صاحب الكبيرة في النار، وفي الوقت نفسه ترد على المرجئة الذين يهونون من شأن الكبائر، فيقال: ها هي الذنوب أوبقت العبد حتى دخل النار، ثم شُفِعَ فيه بعد أن مكث في النار ما شاء الله، فنصوص الشفاعة ترد على الطائفتين معاً، إلى غير ذلك من النصوص التي بها من دلائل عظمة هذا القرآن ما لا يحيط به إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

إذاً؛ هذا ما يتعلق بموضوع حقيقة الإيمان، وأن الإيمان قول وعمل، وأن المراد بالعمل: عمل الجوارح، وعمل القلب، نأتي -الآن- بعد هذه المقدمة إلى التعريف بأعمال القلوب تحديداً، نحتاج إلى توضيحها، وضرب أمثلة عليها، فنقول:

○ **أعمال القلوب محلها القلب، مثل ماذا؟ مثل:** الإخلاص، ومحبة الله، والخوف من الله -تعالى-، والتوكل عليه، ورجائه، هذه أعمال قلبية، ولنوضح لك ذلك بمثال نعرفه جميعاً في حياتنا، كل يوم يتكرر هذا المثال، نقول: كما أن الجسد يعمل، فكذلك القلب يعمل، فمن أعمال الجسد: السجود، والركوع، الصلاة عموماً، وذكر الله باللسان، القلب -الآن- أين عمله؟ عمله يتضح لك في هذه الصلاة التي نصلي، على سبيل المثال: مصلين في صف واحد، يعملان أعمالاً واحدة، منذ أن يكبر الإمام حتى يسلم، وعمل هذين المصلين متطابق، يكبران تكبيرة الإحرام، يقرآن الفاتحة، يقرآن سورة بعدها، يركعان، يرفعان، يسجدان، يجلسان بين السجدين، ثم السجدة الثانية، ثم يقومان للركعة الثانية، وهكذا حتى يسلموا، ما الفرق بينهما؟ لا فرق، هذا المصلي وهذا المصلي لا فرق بينهما مطلقاً في الأعمال الظاهرة، أين الفرق؟ في خشوع القلب؛ قلب هذا يسبح في الدنيا ذهاباً وإياباً، فصار يتابع الإمام متابعة صورية، وقلبه يسبح في هذه الدنيا، حتى أن الإمام لو سها وأتى بركعة خامسة؛ قام معه، وإذا سها الإمام وجلس بعد الركعة الأولى للشاهد الأول؛ جلس معه، ما يدري، لكن في الظاهر عمله وعمل هذا الخاشع بجانبه سواء، أمّا

ذاك الخاشع الذي أقبل على الصلاة فاستحضرها من أول قوله: الله أكبر، وأنه -تعالى- أكبر من كل شيء، استحضر الآيات: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢]، وأن كلمة: «الحمد» الألف واللام للاستغراق، وأن الله هو المستحق للحمد كله **عَزَّوَجَلَّ**، وأن الله يُحمد لأمرين اثنين:

الأمر الأول: لكمال صفاته، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١]، فهذا حمد لله على كمال صفاته، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١]، فهذا حمد لله على تنزهه عما لا يليق.

إذا؛ يُحمد لكمال أسمائه وصفاته.

○ **الأمر الثاني:** يُحمد **عَزَّوَجَلَّ** لنعمه التي لا تعد ولا تحصى، ثم يستمر رب العالمين، وأنَّ الرب: هو المالك المتصرف -سبحانه-، وأنَّ العالمين: ما في السماء وما في الأرض وما بينهما، كما قال الرب **عَزَّوَجَلَّ**، لما قال فرعون لموسى: ﴿فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤]، ثم يستمر في استحضر هذه الآيات العظيمة، ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ]، ثم إذا ركع استحضر عظمة أمر الخضوع لله -تعالى- بالركوع نفسه في الحركة، ثم قال: سبحان ربي العظيم، ومعنى السُّبحان: تنزيه الله **عَزَّوَجَلَّ** عما لا يليق به، وهكذا يستمر في قوله: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ثم إذا سجد والنبى ﷺ يقول: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثَرُوا مِنْ الدُّعَاءِ فَقَمِنُ» -أي: حقيق- أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ، ويستحضر الدعاء، ويدعو حتى يسلم، ولهذا ينصرف من الصلاة وقد امتلأ قلبه من تعظيم الله ومحبه ما لا يحيط به إلا الله تعالى.

○ **لذا قال حسان ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ:** إنَّ الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة، وإنَّما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض، بحسب ماذا؟ الأعمال الظاهرة، أو الباطنة؟ الباطنة قطعًا، كلاهما يصلي، هذا كبر، وهذا كبر، واستمر مع الإمام حتى يسلم، كيف صار ما بينهما كما بين السماء والأرض؟ هذا حضر قلبه، وهذا لم يحضر قلبه، بل حتى تتضح الصورة عندك: أنت بنفسك إذا صليت صلاة خاشعة؛ وجدت الفرق العظيم بين صلاة تخشع فيها، وبين صلاة لا تخشع فيها، نفس الحركات التي تحركتها منذ التكبير حتى التسليم، هي نفس الحركات التي عملتها حين صرت خاشعًا أو غير خاشع.

○ **إذا الفرق:** الفرق في حضور القلب، هذا معنى كوننا نقول: أعمال القلوب، فمن أعظم أعمال القلوب: خشوع القلب لله **عَزَّوَجَلَّ**، هذا فيما يتعلق بموضوع التعريف بكلمة أعمال القلوب، وأنها أعمال محلها وموضعها هو القلب، وقربناها بأمر الخشوع، ويأتي لها -إن شاء الله- **عَزَّوَجَلَّ** توضيح آخر.

○ **الأمر الثالث:** عظم قدر أعمال القلوب، أعمال القلوب الحقيقة هي التي عليها المعول، في أمرين اثنين اضبطهما:

○ **الأول:** قبول العمل أو رده.

○ **الثاني:** قدر أجر العمل بعد قبوله.

وهذا يدل على أن أعمال القلوب هي التي عليها المعول، نوضح لك ذلك -إن شاء الله- في الآتي:

أعمال القلوب هي التي عليها المعول في الأمر الأول: وهو قبول العمل أو رده، ما الذي يوضحه لك؟ يوضحه لك: الإخلاص، نسأل الله الكريم من فضله أن يمن علينا جميعاً به، أمر الإخلاص عمل قلبي، فكل عبادة لا تكون بإخلاص؛ فهي مردودة على صاحبها، أيًا كانت هذه العبادة: جهاداً في سبيل الله، صدقات عظيمة، جهد بالغ في تعلم العلم ونشره وبثه في الأمة، إذا لم يكن هذا بإخلاص؛ فإنه يكون وبالأعلى على صاحبه، مع أن الجهاد في سبيل الله عمل ظاهر، عمل عظيم، والصدقات كذلك، فالصدقة بالأموال العظيمة إذا لم يقصد المتصدق بها وجه الله؛ لم تقبل منه صدقته، المجاهد الذي يبذل دمه وماله إذا لم يقصد بجهاده أن تكون كلمة الله هي العليا؛ فعمله حابط، المتعلم العلم الشرعي، وهذا الذي نخشاه علينا وعلي إخواننا، وينبغي أن يتواصى طلبة العلم بهذا الأمر، أمر الإخلاص في تعلم العلم وتعليمه، لأنه ورد حديث يخيف جداً، وهو قوله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -نسأل الله أن يعيذنا أن نكون تحت طائلته-: «أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَاؤُهَا»، «قُرَاؤُهَا» أي: طلبة العلم، وحملة العلم فيها، السبب ما هو؟ العلم ماذا يفعل بك عند الناس؟ يرفعك رفعة عظيمة جداً، حتى تجد صغير السن يجله ويكبره كبير السن؛ بسبب علمه، وتجد أن طالب العلم إذا دخل المجالس يصبر عليه أهل المجلس أن يكون في صادر المجلس، ويأبون عليه أن يجلس حيث ينتهي به المجلس، وربما أقسموا عليه الأيمان الغلاظ، وربما لو أراد الجلوس أبوا، وربما قبل رأسه -وهو ذو العشرين- ذو الثمانين، وربما أقبل إليه أهل الدنيا من أهل الحكم، وأهل التجارة يعظمونه ويجلونهم؛ فهذا قد يحمل -والعياذ بالله- ذا النفس الضعيفة أن يجعل من

العلم نوع بضاعة ليتسلق بها على هذا المجال الذي يرفعه، ولهذا قال ﷺ: من تعلم العلم ليجادل به السفهاء، أو ليماري به العلماء، أو ليصرف وجوه الناس إليه - تنصرف الوجوه لطالب العلم، جاء طالب العلم، جاء العالم، جاء الشيخ، هكذا - أدخله الله النار، وهذا يعني: أن طلب العلم لغير الله ماذا يُعَدُّ؟ في الصغائر، أو في الكبائر؟ في الكبائر، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم؛ لأن التوعد بالنار لا يكون إلا على كبيرة، ولهذا هؤلاء الثلاثة: المجاهد في سبيل الله - في الظاهر قطعاً -، ومتعلم العلم - في الظاهر -، والمتصدق - في الظاهر -؛ هم أول من يقضى عليهم في القيامة، أول من يبدأ به في القيامة هؤلاء، روى مسلم: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ - في الظاهر، هو شهيد في سبيل الله في الظاهر -، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا - أي: عَرَّفَهُ الله بنعمه فعرّفها -، قال: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قال: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قال: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ - أي: أنت الشجاعة، ويُنظر إليك -، فقد قيل - أي: في الدنيا -، ثم أمر به فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ -.

○ والمقصود بتعلم العلم ماذا؟ العلم الشرعي، أو غير الشرعي؟ فلو تعلم الطب لغير وجه الله

يجوز؟ يجوز، تعلم الهندسة لغير وجه الله؟ يجوز؛ لأن الطب والهندسة ماذا؟ حرفٌ، يجوز أن تباع في الدكان تريد أن تأكل وتطعم ذريتك، تقول: أنا ما في ذهني أني أتقرب إلى الله بالبيع والشراء، ما يضررك؛ لأنك طلبت الدنيا بماذا؟ بالدنيا، لكن إذا طلبت الدنيا بالدين؛ لا، تكون هذه العقوبة، فطلب الدنيا بالدنيا لا بأس به، وإن كان لو علت همته فطلب الطب لينفع الأمة، وطلب الهندسة ليغني الأمة، هذا بسبب النية؛ يؤجر عليه، لكن لو طلبه قال: لأن الطب فيه مال، والأطباء لديهم ثراء؛ يجوز؛ لأنه طلب الدنيا بالدنيا، هنا تعلم العلم والمقصود به فقط: العلم الشرعي؛ ولهذا قال ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ - وهو العلم الشرعي فقط -، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِنَيْالٍ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»، فهذا هو المقصود به هنا في العلم -، قال: وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ - أي: الشرعي - وَعَلَّمَهُ - أيضاً -، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قال: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قال: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ - أي: في الله يقصد - الْقُرْآنَ، قال: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِیُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ لِیُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ - أي: في الدنيا، وحصلت على ما تقصد -، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قال: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قال: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قال: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِیُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ -

أي: هذا الأمر أردته في الدنيا وانتهى -، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، الحديث رواه مسلم.

○ وهذا معنى قول ابن القيم:

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن.

يقصد هذا الحديث، أن العالم -عباداً بالله- الذي يتعلم العلم لغير الله ولا يعمل به؛ أنه معذب قبل عباد الأوثان، وذلك أنه أول ما يُقضى في هؤلاء الأصناف الثلاثة؛ الجهاد في سبيل الله، قال ﷺ: «ذِرْوَةٌ سَنَامِ الْإِسْلَامِ»، والعلم الشرعي قال النبي ﷺ فيه: «وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرَّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»، والصدقة؛ تعلم ما قال الله عَزَّوَجَلَّ فيها، وتعلم آثارها؛ في كونها -بإذن الله تعالى- تكون سبباً في الستر على أيتام، وعلى أراامل، تُبنى بها المساجد، وتُنشر بها الدعوة، لكن لما عمل هذا العمل، الذي هو في الظاهر عمل صالح، لكن الداء -نسأل الله أن يعيذنا من ذلك- قلبي، صار عمله غير مقبول، بل صار عمله -والعباد بالله- وبالأعلى عليه.

ولهذا هذا الحديث وهذه الفقرة تبين لك عظم قدر أعمال القلوب، لو لم يأت فيه إلا الإخلاص فقط، الإخلاص كله عمل قلبي، محبة الله عمل قلبي، يكون لها آثار يقينا بطاعة العبد لربه واستكانته له، وتطبيقه أمره، والكف عن نهيه، هذا واضح، لكن أصلها في القلب، وهكذا التوكل، التوكل في القلب أصله؛ لأن التوكل: هو اعتماد القلب على الله، وهكذا ما يتعلق بالخوف، الخوف أمر قلبي، هذه الأمور تدلك على عظم قدر أعمال القلوب، وأنها ليست بالهينة، أعمال القلوب يأتينا -إن شاء الله تعالى- أنا نغفل عنها والله المستعان، ولهذا في عبارة عظيمة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يقول: «كثير من الناس يحترز ويخاف من كبائر الذنوب الظاهرة، ولا يخاف من كبائر الذنوب الباطنة»، مثل: الحسد، الحسد هذا خطير جداً على الإنسان، كبيرة من الكبائر، تتمنى على أخيك هذا أن تزول النعمة منه، تتمنى عليه أن لا يوفق، تتمنى عليه أن تخسر تجارته، تتمنى عليه أن لا تُصلح ذريته، أي قلب خبيث هذا، عمل قلبي، وكبيرة من الكبائر، لكن صاحب هذا العمل يستعظم أن يُشرب الخمر؛ لأن الخمر كبيرة ظاهرة، لكن هو عنده كبيرة باطنة، ويأتي الكلام -إن شاء الله تعالى- عليها؛ لأن هذه المسألة من المسائل التي تخفى الحقيقة، أدواء القلوب من المسائل التي تخفى.

❖ ما صلة هذه الفقرة بالتتي بعدها؟

ما صلة أعمال القلوب هذه الباطنة بالأعمال الظاهرة التي هي أعمال الجسد؟

عندنا أعمال ظاهرة مثل ما ذكرنا، التي هي أعمال يمارسها الإنسان بجسده، إمّا نطقاً بلسانه، أو عملاً بجوارحه، ما صلة أعمال القلوب بأعمال الجسد؟ هناك صلة ولا شك من أكثر من جهة:

○ **الجهة الأولى:** التلازم بين أعمال القلوب وبين أعمال الجوارح، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: الظاهر والباطن -الظاهر أي: الذي يظهر على الإنسان من نطق لسانه، أو فعل جوارحه، هذا هو الظاهر، والباطن هو الذي في قلبه- متلازمان، لا يكون الظاهر مستقيماً -إذا استقام الظاهر- إلا مع استقامة الباطن، وإذا استقام الباطن؛ فلا بد من أن يستقيم الظاهر، ولهذا قال ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»، فالقلب إذا صلح، وكان بالفعل صالحاً؛ لا بد أن تصلح الجوارح، وأمّا إذا كان فاسداً، وظهر في الجوارح الصلاح؛ هذا فعل منافق، إذاً هناك صلة بين عمل الجوارح؛ وهي الأعمال الظاهرة، وبين الأعمال الباطنة؛ وهي الأعمال القلبية، يقول الشيخ ثانية: «الظاهر والباطن متلازمان، لا يكون الظاهر مستقيماً إلا مع استقامة الباطن»، المقصود: الاستقامة التي تنفع صاحبها، أمّا استقامة ظاهرة للمنافق لا تنفعه قطعاً، وإذا استقام الباطن؛ فلا بد أن يستقيم الظاهر، ولهذا قال ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

○ **ومراده:** أن صلاح القلب لا بد أن يظهر على الجوارح، فمن ادعى استقامة قلبه، وصلاحه، وطهارة قلبه، دون أن يصحب ذلك صلاح الجسد بالأعمال، فعلاً لما أوجب الله، وتركاً لما حرم الله؛ فهو كاذب، الذي يقول هذا كاذب؛ لأن أعمال الجسد الظاهرة متصلة تماماً بأعمال القلوب.

إذاً هذه الجهة الأولى في علاقة أعمال الجسد بأعمال القلب، أو الأعمال الظاهرة بالأعمال الباطنة؛ التلازم بينهما، هذه الجهة الأولى.

○ **الجهة الثانية:** أيهما أعظم أعمال القلوب أو أعمال الجوارح؟ هنا لا بد من التنبيه إلى مقامين

اثنين:

○المقام الأول: يوضحه لك كلام شيخ الإسلام؛ قال: أعمال القلوب لا بد أن تؤثر في عمل الجسد، وإذا كان المقدم هو الأوجب، سواء سمي باطنا أو ظاهراً؛ فقد يكون ما يسمى باطناً أوجب، مثل: ترك الحسد والكبر، فإنه أوجب عليه من نوافل الصيام، وقد يكون ما يسمى ظاهراً أفضل، مثل: قيام الليل، فإنه أفضل من مجرد ترك بعض الخواطر التي تخطر في القلب من جنس الغبطة ونحوها، وكل واحد من عمل الباطن والظاهر يُعين الآخر، الذي يدفعك لترك الأكل والشرب في رمضان مع عطشك وجوعك؛ قلبك، فيعينك قلبك على أن تترك الأكل والشرب، فهما لا شك بينهما هذا التلازم، لكن من حيث العموم، وكما قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ:** «فكل إسلام ظاهر لا ينفذ صاحبه منه إلى حقيقة الإيمان الباطنة؛ فليس بنافع»، إسلام ظاهر أي: رجل يصلي، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر في الظاهر، لكن لا ينفذ إلى قلبه، يقول: «فكل إسلام ظاهر لا ينفذ صاحبه منه إلى حقيقة الإيمان الباطنة؛ فليس بنافع حتى يكون معه شيء من الإيمان الباطن، وكل حقيقة باطنة لا يقوم صاحبها بشرائع الإسلام الظاهرة؛ لا تنفع، ولو كانت ما كانت، فلو تمزق القلب بالمحبة والخوف، ولم يتعبد بالأمر وظاهر الشرع؛ لم ينجه ذلك من النار، كما أنه لو قاوم بظواهر الإسلام، وليس في باطنه حقيقة الإيمان؛ لم ينجه من النار».

إذاً؛ نعرف بذلك أن بين عمل الجسد وعمل القلب -بين الأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة- تلازم، فهما متلازمان، تأتي مسألة من حيث العموم: أيُّما أعظم -في الجملة قطعاً- أعمال القلوب أو الأعمال الظاهرة؟ علمنا قطعاً التلازم بينهما، فلو قال أحد: المهم عندي أنا أعمال القلوب، وترك الأعمال الظاهرة؛ نقول: ما يصلح لأنها متلازمة، كما أن المنافق إذا ركز على الأعمال الظاهرة، وفسد إيمانه في الباطن لا ينفعه، لكن من حيث العموم أيُّما أعظم وأجل قدرًا؟ إذا علمنا: أن العمل الظاهر والباطن لا بد من تلازمهما، من المؤكد أن فيهما ما هو أفضل من الآخر، هذا قطعاً من حيث العموم، أمّا من حيث التفصيل: فكما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، ولذا يقال في الأهم منهما على سبيل العموم، كما قال ابن القيم، يقول ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ:** «من تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض -أي: أكثر فرضاً- على العبد من أعمال الجوارح، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد منهما من الأعمال التي ميزت بينهما؟ وهل يمكن أحد الدخول في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه؟» إذا جاء أحد ليسلم؛ فإن أول ما نبدأ بتلقيه الشهادتين، ونعلمه معناهما، يكون ذلك في قلبه قبل أن ينطقهما، فإن النطق بالشهادتين يكون بعد

الايقان بمعناها، ولهذا من الخطأ أن تلقنه الشهادتين وأنت لم تعلمه معناها، هو ينطق ماذا؟ ما يدري ماذا ينطق، لا بد أن يعرف معنى الشهادتين، ولهذا يقول ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد منهما من الأعمال التي ميزت بينهما، وهل يمكن أحد الدخول في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه؟ وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح، وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت، لاحظت كيف عظم شأن أعمال القلوب، واجبة كل وقت، تقواك الله يجب أن تكون دائماً في السر وفي العلن، بينما الأعمال الظاهرة لا تجب في كل وقت، فالصلوات لها وقت، والصوم له وقت، وحتى المستحب منها مثل: الأذكار، وغيره، لو أنك غفلت عنه؛ فإنك تكون قد غفلت عن أمر مستحب، أما تقوى الله واستحضار خوفه وعظمته فيجب أن يكون دائماً، وقال -أيضاً-: «وَعَمَلُ الْقَلْبِ: كَالْمَحَبَةِ لِلَّهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالْخَوْفَ مِنْهُ، وَالرَّجَاءَ لَهُ، وَإِخْلَاصَ الدِّينِ لَهُ، وَالصَّبْرَ عَلَى أَوَامِرِهِ، وَعَنْ نَوَاهِيهِ، وَعَلَى أَقْدَارِهِ، وَالرِّضَا بِهِ وَعَنْهُ، وَالْمَوَالَاةَ فِيهِ وَالْمَعَادَاةَ فِيهِ، وَالذَّلَّ لَهُ وَالْخُضُوعَ وَالْإِخْبَاتَ إِلَيْهِ، وَالطَّمَأْنِينَةَ بِهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ الَّتِي فَرَضَهَا أَفْرَضَ مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ - الْفَرَضُ فِي أَعْمَالِ الْقُلُوبِ أَكْثَرُ مِنَ الْفَرَضِ فِي أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ -، وَمُسْتَحَبَّهَا - مُسْتَحَبُّ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ -؛ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ مُسْتَحَبَّهَا».

❖ مثل: عندنا الخشوع نوعان للخشوع:

○ النوع الأول: خشوع قلب.

○ النوع الثاني: خشوع بدن.

أي: هذا الشخص إذا كَبَّرَ، وترك الحركات وكثرة الانشغال؛ لا شك في أن هذا قد خشع في الظاهر، وهذا محبوب عند الله **عَزَّوَجَلَّ**، بل يلزمه ترك الحركة الكبيرة، أيهما أعظم خشوع قلبه أو خشوع جوارحه؟ خشوع قلبه، لهذا لو خشع جسده ولم يخشع قلبه؛ لكان ما حصله من خشوع أنقص بكثير مما فاته، ولهذا يقول: «ومستحبها»؛ مستحب أعمال القلوب، «أحب إلى الله من مستحبها» أي: مستحب أعمال جوارح، وعمل الجوارح بدونها: إما أن يكون عديم المنفعة، أي: عمل الجوارح، إذا فقدت أعمال القلوب إما أن يكون عديم المنفعة كما في المنافق، لمَّا لم يكن عنده إخلاص العمل لله **عَزَّوَجَلَّ** لم تنفعه صلاته، ولا جهاده، ولا أمره بالمعروف، ولا نهي عن المنكر، أو قليل المنفعة، مثل: عمل المصلي إذا هو لم يخشع، فعمله في الظاهر وهي الصلاة قلَّ أجره فيها، بسبب ماذا؟ بسبب قلة خشوعه.

إِذَا؛ هذا يدلُّك على أن أعمال القلب وإن كانت ملازمة لأعمال الجوارح؛ إلا أن أعمال القلب أعظم منها.

○ نأتي إلى فقرة بعدها: خلاف أهل السنة مع الفرق في أعمال القلوب.

علمنا أن قول أهل السنة في الإيمان: أنه قول وعمل، وأن العمل يشمل أعمال القلوب والأبدان، المرجئة سميت بالمرجئة؛ لأنها أخرجت العمل عن الإيمان، كل فرق المرجئة، بدءاً من مرجئة الفقهاء؛ فقهاء الكوفة، وانتهاءً بغلاة المرجئة؛ وهم أصحاب الجهم بن صفوان؛ الذي يقول: إن الإيمان هو مجرد معرفة القلب، أو الذين يقولون: إنه مجرد تصديق القلب فقط، هؤلاء كلهم متفقون على أن العمل خارج عن الإيمان، ولذلك سموها بالمرجئة؛ لأنهم يرجئون العمل عن الإيمان، وهذا أمر -الحقيقة- عجيب جداً، إرجاء العمل عن الإيمان غريب للغاية، ولا ندري كيف وقع؟! قطعاً الجهم وأمثاله من الغلاة، لكن كيف يقع في مثل هذا أناس من أهل الفقه، ماذا يقول النبي ﷺ في الطهور؟ «الطَّهْرُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»، أي: نصف الإيمان، وهل يكون النصف من غيره؟ كيف يكون؟ يقول ﷺ «الطَّهْرُ شَطْرُ»؛ أي: نصف الإيمان، نصف الإيمان، أي: أنه من نصفين، فهل الأمر الذي هو نصف الشيء لا يكون منه؟ هذا أمر محال، ولهذا -سبحان الله- خفاء هذه المسألة عجيب للغاية، عجيب خفاء هذه المسألة، حتى يرجئوا العمل عن الإيمان، أما الجهم وأضرابه الغلاة هؤلاء أمرهم معلوم؛ لأن ضلالهم أوسع، لكن كيف خفي هذا حتى على مثل مرجئة الفقهاء؟

○ لَمَّا جَاءتْ أَعْمَالُ الْقُلُوبِ، يَعْنِي: المرجئة يخرجون العمل، ولذلك سموهم بالمرجئة؛ لأنهم يرجئون العمل عن الإيمان، أتت مسألة أعمال القلوب، هل أعمال القلوب من الإيمان أو ليست من الإيمان؟ إن أخرجوا أعمال القلوب من الإيمان؛ فهذه مصيبة كبيرة جداً؛ لأن معنى ذلك: أن حب الله ليس من الإيمان، الإخلاص ليس من الإيمان، خوف الله ليس من الإيمان، وهذه الحقيقة لا يقول بها عاقل مطلقاً، لهذا ماذا قالت مرجئة الفقهاء؟ قالوا: إن هذه الأعمال القلبية من الإيمان، واضح؟ الذين قالوا: إن هذه الأعمال القلبية ليست من الإيمان؛ هم الغلاة فقط، لأن لما جاءت مسألة الإيمان؛ مسألة الأعمال القلبية، هل يقول عاقل: إن الإخلاص الذي تنبني عليه مسألة القبول أو الرد ليس من الإيمان؟ صعب للغاية جداً أن يقال هذا، لهذا جاءت المسألة هذه عند المرجئة مسألة افرقت فيها طريقتين:

○ فالغلاة - كالجهم وأضرابه - قالوا: حتى الإخلاص، وحتى محبة الله، وحتى خوف الله، وحتى الرجاء والتوكل ليست من الإيمان، الإيمان مجرد تصديق القلب المجرد فقط، وهذا قول - الحقيقة - أشبه بقول المجانين، أن تخرج الإخلاص من الإيمان، مرجئة الفقهاء قالوا: لا، وكذلك - الحقيقة - كثير من طوائف المرجئة، قالت: لا، أعمال القلوب داخله في حد الإيمان، ما الذي انفتح عليهم؟ أول شيء انفتح عليهم: إذا أدخلت أعمال القلوب؛ لزمك أن تدخل أعمال الجوارح ما الفرق؟ هذه أعمال، وهذه أعمال، لهذا قال شيخ الإسلام: إنهم إذا قالوا: إن أعمال القلوب داخله في حد الإيمان؛ انفتح عليهم أعمال الجوارح، إذ ما الفرق بين الإخلاص الذي تقولون: معاذ الله أن نخرج الإخلاص من الإيمان ليس هناك عاقل يخرج الإخلاص من الإيمان، نقول: أخرج الجهم، قال: هذا إنسان متهور من الغلاة، نبرأ إلى الله من قوله، إذا تدخلون الإخلاص؟ نعم، وهو ماذا؟ عمل قلبي، الحب لله، قال: حب الله كيف أخرج من الإيمان؟ خوف الله، وخشية الله، كيف أخرجها من الإيمان؟ قيل: كيف تخرج قوله ﷺ: «الطَّهْرُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»؛ من الإيمان، الطهور ماذا؟ التطهر بالماء من وضوء وغسل، هذا من الإيمان، وهو عمل، فكيف تخرج من الإيمان؟ لهذا هذه المسألة تدلك على أمر الخلاف في أعمال القلوب، أعمال القلوب - الحقيقة - من المسائل الخائفة، كيف خائفة؟ تأتي في الفرق مسائل تضطر الفرق بعض الأحيان إلى التخلي عن ماذا؟ عن أصل قولها؛ مرجئة الفقهاء يقولون: الإيمان هو نطق اللسان واعتقاد القلب فقط، وأعمال الجوارح خارجة عن حد الإيمان، وإن كانوا لا يسهلون الأمر، لا يفهم أحد أنهم يسهلون من أمر الصلاة وغيرها، يقول: لا بد منها ويعاقب تاركها؛ لكن لا تدخل في حد وفي حقيقة الإيمان.

○ أعمال القلوب مثل ما ذكرنا، جاء الجهم وأضرابه من الغلاة قالوا: خارجة بالكلية عن حد الإيمان، فقليل للعقلاء من المرجئة: أخرجون أعمال القلوب كما أخرجها الجهم؟ قالوا: معاذ الله، هل هناك عاقل يخرج الإخلاص من الإيمان؟ إذا خرج الإخلاص من الإيمان ماذا يكون؟ قلنا: ما الفرق بين عمل القلب وعمل الجوارح؟ إذا قلنا: قول واعتقاد وعمل، هو عمل القلب وعمل جوارح، فإذا دخلت أعمال القلوب؛ دخلت أعمال جوارح قطعاً؛ وإلا أخرج أعمال القلوب كما أخرجت أعمال الجوارح، ولذا قلنا: هذه المسألة خائفة، يعني: إن قلت: إنها تدخل؛ لزمك أن تدخل نظيرها؛ لأن العمل واحد،

صحيح أن هذا يظهر على الجسد، وهذا داخل القلب، لكن مسمى هذا وهذا هو العمل، فهذا فيما يتعلق بأعمال القلوب، وخلاف أهل السنة مع الفرق فيها.

○ **نأتي إلى مسألة مرتبطة بضد أعمال القلوب:** وهي الأمراض التي تصيب القلوب، أعادنا الله منها، القلوب تصاب بالمرض كما يصاب الجسد تماماً، بل تصاب القلوب -والعياذ بالله- بالموت، كما يصاب الجسد، لكن في مرض القلوب -أعادنا الله- أمران بالغ الأهمية أن يُستحضر، الحقيقة عدة أمور، لكن نذكر أمرين اثنين:

الأمر الأول: أن مرض القلب وموته قد لا يشعر به صاحبه، فتجده يتقلب في الدنيا متنمعا ذاهباً آيًّا مسافراً حالاً؛ لكن قلبه مريض بل ميت، فهو مفتون أشد الفتنة، لكنه لا يدري بحاله؛ لشدة غفلته، قال الله: ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٩]، ذكر الله مرض القلب بقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الأنعام: ٢٥]؛ أي: أغطية، ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام: ٢٥]، وذكر الله زيغ القلب، والختم عليه، والطبع عليه، وكل هذه أمور مضرّة بالقلب غاية الضرر، فالختم والطبع وأمثاله تكون على قلب الكافر -عياداً بالله-، إذاً هذا هو الخطر الأول في مرض القلب: أن صاحبه قد يكون في كمال صحته، ولا يشعر، وقلبه مريض، بل قد يكون قلبه ميتاً.

○ **الأمر الثاني:** في مرض القلب أنه أعظم ضرراً من مرض الجسد، الجسد يُمرض، الإنسان يضعف من آثار المرض حتى يموت، ومات الأنبياء؛ قال الله -تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، فكل أحد سيمرض جسده، وإن لم يمرض جسده فإنه يأتيه أجله حتى لو لم يمرض جسده، فأمر الجسد مرضه أو وفاته لا شك أنها أمر أيسر من مرض القلب، مرض القلب وموته صاحبه قد أصابه شيء من الهلاك، وبقدر ما يكون من شدة المرض؛ تكون شدة الهلاك، أمّا إذا مات القلب موتاً -كما في حال موت قلب الكافر-؛ فهلاكه تام -والعياذ بالله- بخلود النار، ولهذا كان داء المنافق الأكبر ما هو؟ داؤه في قلبه، أما في الظاهر فهذا المنافق -أعادنا الله وإياكم منه- قد يكون في أصلح الناس في الظاهر؛ أمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، داعياً إلى الله، جاهدوا مع النبي ﷺ جهاداً، وتعرضوا للقتل، أو الأسر، وهكذا أظهروا الصلاة، والصدقات العظام، لكن الداء في القلب، ولهذا مرض القلب أخطر من هذه الحيشية؛ أن مرض القلب صاحبه يصاب بنوع من الهلكة الشديدة شعر أو لم

يشعر، وهذا يستدعي -الحقيقة- أن نركز على مسألة، لأن موت القلب -عياذاً بالله- على طريقة أهل النفاق وأهل الكفر -نعوذ بالله من ذلك-: هذه طريقة أهل الكفر والارتداد، لكن مرض القلب يصيب المسلم، وقد يشعر به المسلم، ويشعر بشيء من الأسى والتحسر على نفسه أنها بهذا المستوى من المرض القلبي، ويحس به، ويتمنى أن يرتفع عنه.

أمراض القلوب جاء في الحديث: «اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النَّفَاقِ، وَأَعْمَالِي مِنَ الرِّيَاءِ»، لأن الرياء أين يكون؟ ليس في القلب، القلب ما يرى الذي فيه، لكن ما معنى الرياء؟ الرياء: هو مشتق من الرؤية؛ أي: الإنسان يُرى الناس -نسأل الله العافية- عملاً حتى يمدحوه، أو حتى يحصل على مال، أما النفاق فهو قلبي -عياذاً بالله-، «اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النَّفَاقِ»، والنفاق -كما تعلمون- منه أصغر يقع فيه المسلم، ومنه أكبر لا يقع فيه إلا الكافر، فلهذا جاء هذا الدعاء: اللهم طهر قلبي من النفاق وأعمالِي من الرياء.

○ **من أمراض القلوب المنتشرة:** مرض الكبر، والكبر -أعاذنا الله منه- جاءت النصوص بأن القليل منه يضر الإنسان ضرراً بلغ حد قول النبي ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»، فالأمر في غاية الخطورة، الحديث رواه مسلم، هذا الداء إذا وجد في القلب ولو قليلاً؛ تكون عقوبته شديدة، أتدري ما السبب؟ الكبر لله، ليس للعبد أن يتكبر مطلقاً، ولذا من أسماء الله المتكبر، أما العبد فلا بد من أن يخضع، فإذا شمخ العبد؛ عاقبه الله هذه العقوبة الشديدة لو على مقدار ذرة من كبر.

ولهذا أمر مراجعة القلوب، والنظر في أمراضها، بالغ الأهمية للمؤمن، ولهذا؛ انظر هذا الدعاء العظيم: «أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ»؛ لأن التكبر يكون على من؟ على هؤلاء المساكين الضعاف، غالباً يكون متكبراً يتكبر عليهم، هذا المتكبر المتغترس على المساكين إذا أتى عند الزعماء وعند التجار؛ وجدته خاضعاً، إذا الداء في قلبك في استحقاق هؤلاء، ولهذا قال ﷺ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»؛ أي: يكفيه من الشر أن يحقر أخاه المسلم، ولهذا هذه المسألة خطيرة جداً، ولهذا لما حُذِّث بهذا الحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بكى، لماذا؟ لأن من أصعب ما يكون: أن تنقي قلبك من أمر الكبر، حتى تمارس شيئاً عظيماً من مراجعة قلبك، وإلزام نفسك، بعدم الاغترار بشيء، ماذا قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**؟ ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ -انظر فائدة القدر- ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا

ءَاتَكُمْ ﴿[الحديد: ٢٢-٢٣]، ثق ثقة تامة: إذا لم تفرح بما آتاك الله؛ لن تتكبر، لماذا؟ لأن كلما آتاك علمٌ لن تنتفخ به، تقول: هذا علم علمني الله، كلما آتاك مال تقول: هذا بفضل الله ومنتته، صحة، صلاح ذرية، توفيق، محبة في قلوب الناس، تقول: هذا من فضل ربي، سليمان -أعلم الناس بالله الأنبياء- لَمَّا أتاه العرش من اليمن إلى الشام، وجُعل العرش بين يديه، قال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۖ أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]، دائماً يستحضر العبد: أن أي نعمة من النعم فهي من فضل الله **عَزَّوَجَلَّ** عليه، هنا لا يتغطرس ولا يتكبر، فكلما آتاه شيء؛ هذه النعمة تدفعه للحمد والشكر أصلاً، كيف يتغطرس؟ كيف يعجب بعمله وهي نعمة من الله -تعالى- عليه بها ليمتحنه، ويبتليه بها؟ هذا لا شك أنه يزيل الكبر إزالة تامة من القلب؛ إذا أعان الله -تعالى- المسلم عليه.

○ **ولهذا؛ أمر الاعتقاد عظيم -أيها الإخوة-**، العقيدة تطهر القلوب، فهذا المتكبر عنده ضعف في عقيدته، حتى لو كان متخصصاً في العقيدة، لماذا؟ لأنه ليست المسألة مسألة علم العقيدة دون أن تكون مؤثرة في القلوب، ولهذا من أسهل ما يكون الكلام -أيها الإخوة-، أليس كذلك؟ لكن من أشد ما يكون التطبيق، ولهذا الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن **رَحِمَهُ اللَّهُ**؛ حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لَمَّا فسر كلمة التوحيد تفسيراً عظيماً جداً قال: «اللهم لا تجعل نصيبنا منها أن نبين معناها»، يقول: لا تجعل نصيبنا منها مجرد هذا البيان العظيم المعنى، ثم لا نكون منتفعين بما بَيَّنَّا.

○ **إذا هذه المسألة؛ وهي مسألة الكبر**، داء من الأدواء الذي يصيب القلوب، حتى أنه يصيب بعض الفقراء، وبعض الضعفاء، ولهذا قال **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في الذين لا يكلمهم الله ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم: أسيما زان، وعائل مستكبر، عائل ضعيف فقير، ومع ذلك مستكبر، لأن الغني والأمير ونحوهم يستكبرون عادة لأن عندهم شيء يدعوهم، لكن إذا كان الفقير مستكبراً؛ هذا معناه: أن الداء في قلبه، أي: عنده كبر في قلبه، حتى وهو ضعيف، ولهذا هذه المسائل ليست مخصوصة بطالب علم أو بجاهل، أو بفقير، أو بغني، لهذا تجدها -عياداً بالله-؛ مسألة الكبر هذه موجودة في أناس مع شدة ضعفهم، موجودة في أناس مع -وهذا الخطر- علمهم، عنده استعداد يضع لك خطبة عصماء يوم الجمعة في الكبر، ويُبكي الناس كلهم، وهو من أكثر الناس كبراً، لأن المسألة ليست كلاماً، المسألة تطبيق، فهذا من الأمراض العظيمة؛ وهو مرض الكبر، أعادنا الله وإياكم منه، هذا المرض الأول.

○ **المرض الثاني الذي ينبغي أن يتفطن له المؤمن، وقد يقع فيه:** وهو الحسد، والحسد على نوعين:

○ **النوع الأول:** حسد محمود، نسأل الله أن يكرمنا به، كيف؟ حسد الغبطة، ما معنى حسد الغبطة؟

الذي قال النبي ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا»، كيف يكون حسد الغبطة؟ هو أن تتمنى لنفسك مثل ما لأخيك مع تمنيك ألا يزول ما عنده من النعمة، هذا معنى الغبطة، إذا رأيت من يحفظ القرآن، ويقوم الليل، ويصوم النهار، قلت: يا ليت أن عندي مثل الذي عنده، هذا معنى الغبطة؛ أنك تغبطه وتتمنى أن تكون مثله، لكن لا تحب أن يزول ما عنده من الخير، هذه الغبطة، وهذا المحمود.

○ **النوع الثاني:** من الحسد هو -والعياذ بالله- حسد أهل الغفلة وأهل الجفاء؛ وهو تمنى أن يزول

الخير عن المسلم، ولهذا قال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ؛ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»، وهذا يدل على أن الحسد هذا هو قلبي، يضر بأعمال كثيرة والإنسان لا يشعر، ويقول: الحمد لله، لا زنيت، ولا شربت خمرًا ولا أخذت مال أحد، لكن داءك في الداخل، تتمنى على أخيك المسلم هذا أن يزول ما عنده؟ ألا ترى الكفار في أنحاء الأرض عندهم تجارة وعندهم أموال؟ تركت هؤلاء وأتيت إلى أخيك المسلم تتمنى أن يزول ما عنده؟ هذا لفساد قلبك، وهكذا تمنى زوال النعمة أيًا كانت النعمة، فمن ذلك: وهو الذي نحتاج إلى التركيز عليه -إن شاء الله- **عَرَّجَلٌ**.

○ **أمر الحسد بين طلبة العلم:** وهذا الداء -الحقيقة- لا يكون إلا بغفلة شديدة، يأتي لها -إن شاء الله

تعالى- تفصيل، هذا الحسد؛ وهو تحاسد طلبة العلم، أنت -الآن- تتعلم العلم، وعقيدتك على السنة، جاء أحد وتعلم العلم وعقيدته على السنة، ماذا تنظر إليه؟ على أنه ماذا؟ معين لك في هذا الميدان، كلاهما تشقان درب الدعوة إلى الله **عَرَّجَلٌ**، وتنشران هذا الدين، وتعلمان الناس الخير، وتحذرانهم من الشر، وبث الحق والخير، والتحذير من الشرك والبدعة والضلال، أمر ينهض به أهل العلم مجتمعين، ويتعاونون على ما قال **عَرَّجَلٌ**: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]، أخوك هذا عضد لك، على نفس عقيدتك، وله نفس هدفك، يحذر مما تحذر، ويأمر بما تأمر، كيف تلتفت عليه فتحسده؟ ما يكون هذا إلا من غفلة عظيمة، فلو انتشر لأخيك هذا -وإن كان أصغر منك سنًا، بل وإن كان من طلابك- ذكر في الأمة أكثر منك، فإن كنت صادقًا؛ فإنك تفرح، لماذا؟ لأنك تبني، وهو يبني، وتريد أن ينتشر الحق من

حيث هو على يدك أو على يد غيرك، أمّا إذا كنت إنّما تريد أن يربط الحق بك، فإن انتشر الخير فهو منسوب إليك، وإن انتشر النهي عن المنكر فبنهيك أنت، هذا من أظهر الأدلة على فساد نية الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، والداعي، ولهذا من محاسن الشافعي **رَحْمَةُ اللَّهِ**، له كلام غاية في الحسن، لما تكلم عن أمر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال: إن العلامة على إخلاص النهي عن المنكر هي الآتي: إذا زال منكر هو يسعى في إزالته على يد غيره، فإن فرح؛ فهو مخلص، لماذا؟ لأنه يريد أن يزول المنكر بأي طريق، أمّا إذا زال المنكر على يد غيره، فانقبض وضاق صدره؛ فهو غير مخلص؛ لأنه يريد إذا زال المنكر أن يقال: أزاله فلان، إذا هذا غير مخلص هذه حقيقة في غاية الدقة، والعلماء رحمهم الله لهم تنبيهات، من أكثر من ينبه على مثل هذا: ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**، له تنبيهات دقيقة في مثل هذه المسائل القلبية، يقول: إذا كنت قاصدا فعلا أن يزول المنكر وسعيت فيه، فجاء آخر فأزاله، فقليل لك: أزاله فلان، اللهم وفقه واجزه عن الإسلام خير الجزاء، الحمد لله، أزاله، جزاه الله خيرا، لماذا؟ لأنك تريد أن يزول المنكر، أمّا إذا أزاله هو، وكنت قد سعيت فيه، وربما لمست بعض النتائج في عملك، ثم قيل: إن فلانا دخل ونهى عن هذا المنكر وأزاله مباشرة، انقبضت؛ إذا لا تريد إنكار المنكر أنت، تريد أن ينسب زوال المنكر إليك، فمثل هذه الأمور الدقيقة الحقيقة ينبغي أن يتأملها طالب العلم، وأنه إذا حسد من هو مثله في الاعتقاد وفي الهدف، وهو على نفس المسار الذي هو يسير فيه؛ فهو في غفلة عظيمة، يحتاج أن يصحح المسار، وإذا كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»، فيه نعمة عظيمة أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لم يقل: حتى يحب لأخيه أكثر مما يحب لنفسه، لو قال: أكثر مما يحب لنفسه؛ مسألة صعبة جدّا، لكن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، فإذا رزق ذرية، ورزقت أنت ذرية؛ تفرح له، إذا رزق علما، ورزقت علما، إذا رزق مالا ورزقت مالا؛ تفرح له، ولا تحب أن يكون الأمر منحصرافك، فتحب لأخيك ما تحب لنفسك من خير، قال العلماء: وأيضا مباشرة ويكره لأخيه ما يكره لنفسه من الشر، قطعاً مباشرة، يقول: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ»، والمحبة ماذا؟ قلبية، رأيت كيف أن أمر أعمال القلوب على جانب كبير من الأهمية، أن نعود على أنفسنا بمراجعة أمر القلوب، ولهذا يقول ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

خرجت عليك كُسرت كسر مُهانٍ.

واحذر كمائن نفسك اللاتي متى

الكمائن جمع الكمين، الكمين: هو الذي يجعل العدو لعدوه في طريقه مجموعة من الجنود مختفين، حتى إذا مر بهم خرج الكمين عليه، يقول -الآن-: احذر من؟ كمائن نفسك أنت:

واحذر كمائن نفسك اللاتي متى خرجت عليك كُسرت كسر مُهان.
فُصِرَتْ صرعةً من غدا متلبطاً وسط العرين ممزق اللُحمان.

يقول: احذر نفسك، ولهذا في الحديث العظيم: «اللهم إني أعوذ بك من -شر جاري، أو أخي؟- شر نفسي»، تتعوذ بالله من شر نفسك، «نَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا»؛ لأن النفوس فيها شرور، ولهذا يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي»، فلهذا لا سلامة إلا باللجوء إلى الله في هذا، وأن تسأل الله صلاح قلبك، وأن تعوّد نفسك محبة الخير للمسلمين، وأن تفرح لفرحهم، وأن تحزن لحزنهم، وأن تتمنى لهم الخير، جاء: أن المسور **رَحِمَهُ اللَّهُ** اشترى بُرّاً، وأراد أن يتاجر فيه، ثم رأى سحاباً، السحاب ماذا سيحدث؟ سينزل من قدر البرّ، قال: فكرهه، كرهه السحاب، والسحاب مصلحته لمن؟ للمسلمين، وضرره على من؟ على التاجر، فلما أصبح ماذا فعل؟ قال: من أتاني أوليته، مباشرة وزّع البرّ على الناس، فقال عمر: ما بال المسور؟ هناك أحد يشتري بُرّاً يريد التجارة ثم يوزع على الناس توزيعاً؟ إذا أردت الصدقة لها أهلها، لكن كيف أنت تحصل على البرّ؟ قال: إني رأيت مخيلة؛ سحاباً، فلما رأيتها كرهتها، فعلمت أنني كرهت أمراً ينفع من؟ المسلمين، فوزعه مجّاناً، عرف أن هذا داء قلبي، أنه ما كان ينبغي أن يكره أمراً فيه مصلحة للمسلمين، وورقه على الله، فالحاصل: أن مثل هذه المسائل ينبغي -الحقيقة- لطلبة العلم أن يتواصوا فيما بينهم بالنقاش فيها، هذا النقاش، ليس النقاش في الدنيا وأمورها، طلبة العلم مجلسهم غير مجلس أهل الغفلة، مجالسهم عامرة بالعلم، مجالسهم عامرة بنصح بعضهم بعضاً، ومن ذلك مثل هذه الأمور.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَنَا، وَيُرَكِّي نَفُوسَنَا، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

**ألقيت هذه المحاضرة في ليلة السابع
من شهر جمادى الآخر سنة أربعة وأربعين وأربع مئة ألف
في جامع عبد الله بن ناصر المهيني، الرياض
حرسها الله داراً للإسلام والسنة.**